رؤية الحركة الإسلامية السودانية للتعليم والثقافة
قراءة تاريخية

د. عبد العظيم عثمان قمر الدين
أستاذ أصول التربية المشارك
مدير إدارة البحوث التربوية
جامعة بخت الرضا – جمهورية السودان

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:
عبد العظيم عثمان قمر الدين، رؤية الحركة الإسلامية السودانية للتعليم والثقافة: قراءة تاريخية.- دورية كان التاريخية.- العدد الثاني والعشرون؛ ديسمبر ٢٠١٣. ص ٦٢ – ٧١.

www.kanhistorique.org ISSN: 2090 - 0449
كان التاريخية: رقمية الموطن .. عربية الهوية .. عالمية الأداء

مُلَخّصْ

يرمي هذا البحث إلى الوقوف على رؤية الحركة الإسلامية السودانية للتعليم والثقافة، وقد قدمت الحركة الإسلامية في ذلك الصدد رؤية متطورة حتى بمفهوم اليوم. وذلك من خلال تناولها للمناهج وتوحيد التعليم الديني والمدني في وعاء واحد، والتوسع في التعليم والنهوض بالتعليم الفني، وضبط التعليم الأجنبي في السودان، والاهتمام بإعداد المعلم وتدريبه، وتربية الشباب تربية عسكرية. هذا فضلاً عن الاستخدام الموجه للإعلام والإفادة من وسائطه المتعددة في تقديم القيم الفاضلة، وكذلك الفني وربطه بالقيم الإسلامية والدعوة لنهضة فنية وأدبية رفيعة في ذوقها.

ومن أهم ما أوصت به الدراسة: (ربط التعليم المدني بالتعليم الديني ربطًا وثيقًا لمجابهة الغزو الثقافي، ورفض الثنائية في التعليم وذلك بتبني توحيد التعليم الديني والمدني على حد سواء، والاهتمام بالتعليم الفني والنهوض به لإحداث النهضة الشاملة في السودان، ومراجعة التعليم الأجنبي في السودان وضبطه بضوابط البلاد، والتوسع في التعليم بصورة عامة، وتوجه الآدب والإعلام والفن توجهًا إسلاميًا).

مُقدّمَة

عمل الإنجليز على تحديد التعليم فلسفة وأهدافًا ومناهجًا لتتماشى مع ما يريدونه منه، وأن فلسفتهم في ذلك تهدف إلى أبعاد المؤثرات الثقافية الإسلامية، مهيئين البلاد لاستعمار فكري[(١)]، فكانوا يرون أنه يجب أن يبعد الإسلام عن التعليم، لأنهم إن لم يفعلوا ذلك فسيكون مدعاة لإثارة الحماس الديني، لذا كان الرأي أن يقتصر التعليم على معلومات أولية عن الإسلام، وأنه ليس هناك ثمة ضرورة لزيادة ذلك مما يشكل خطورة لا مبرر لها كما جاء في تقارير مهندس التعليم في ذلك العهد جيمس كري. فكان الغرض من التعليم على رأي "كتشنر" (Kitchener) هو إيجاد مجموعة من الكتبة، أما "ونجت" باشا الذي خلف كتشنر (١٩٠٠ – ١٩١٦م) فكان يرى أن التعاون بين الحاكم والمحكومين لا يتم بصورة مثلى إلا بوضع أسس قوية ومتينة لنظام مدروس دراسة وافية ومستفيضة للتربية وقواعدها، فيسعى التعليم لتطوير شخصية الفرد والنهوض بها مع الإبقاء الجزئي على التربية الدينية التقليدية. حتى لا يصطدم بمحاربة الموروث الثقافي التربوي في السودان من أول وهلة. فقد كانت السياسة في إيجاد جيل جديد متشرب بالثقافة الجديدة، سياسة متأنية لم تؤت أكلها بين عشية وضحاها، وإنما كانت سياسة استراتيجية بعيدة المدى في إخراج جيل يؤمن بالثقافة الجديدة وتحويل مساره من الثقافة التقليدية إلى ثقافة العصر الجديد فكان التعليم يهدف إلى خلق طبقة من الصناع المهرة، ونشر نوع من التعليم يساعد على معرفة القواعد الأولية لجهاز الدولة وتدريب طبقة من السودانيين لشغل الوظائف الصغرى[(٢)].

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

وكان الأمل المعقود لدى الحكومة من إصلاحات التعليم أنها ستقلل من خطر إحياء المهدية في النفوس من جديد، وقيام أنظمة معادية لها، إضافة إلى وضع قواعد وأسس التعليم الإرسالي الكنسي، واستقطاب الوثنيين للنظام الجديد بدلاً من الاتجاه نحو الإسلام الأمر الذي يزيد من توحيد ثقافة البلاد – بما يتعارض مع سياسة فرق وأحكم – واتجاهها اتجاهًا معاكسًا. إضافة إلى أن الحكومة عملت على وقف تيار انتشار الإسلام من وادي النيل إلى قلب إفريقيا بعمل حائط صد مسيحي في جنوب السودان.[٣]

وضعت النواة الأولى للتعليم الحديث لتطوير نظام الكتاتيب ثم فتح المدارس الأولية لتحل محل الخلاوي تدريجيًا، وقد خاف الناس من أن تحل المدرسة محل الخلوة وهي رمز التعليم الديني، كما خاف شيوخ الخلاوي على مراكزهم إضافة إلى ذلك خاف الآباء أن يترتب على تعليم أبنائهم بالمدارس حرمانهم من مساعدة الأبناء لهم في التجارة والزراعة، وإبعاد الإشراف المباشر على تربيتهم وسلوكهم وتصرفاتهم، ولذلك اعترض الكثير من الناس على قيام المدارس واعتبروها كنيسة،[٤] وظلت النظرة إليها باعتبارها مركزًا للتبشير فترة ليست قصيرة من الزمن في العهد الثنائي، فقد آثر البعض عدم إلحاق أبنائهم بالمدارس الحديثة، كما ظهر فيما بعد عند بعض الشعراء والمغنيين لفترة طويلة من الزمن ورفضهم إدخال أبنائهم مدرسة المبشر وتوجيههم إلى التعليم الوطني (معهد وطني العزيز). ولكن تلك النظرة قد تبددت مع مرور الأيام وانتشار المدارس الابتدائية في فترة مبكرة في أم درمان والخرطوم وسواكن وحلفا وبربر، وكان القبول لهذه المدارس من الذين تخرجوا في المدرسة الأولية ومدة الدراسة خمس سنوات، كما فتحت مدرسة لتخريج المعلمين وأخرى لتخريج الصناع المهرة في أم درمان.

كما أسست مدرسة لتخريج القضاة الشرعيين في أم درمان[٥] وفي سنة ١٩٠٠م جمع الشعب البريطاني التبرعات لبناء كلية في السودان تخليداً لذكرى غردون، وبدأ العمل في بناء الكلية وتم تشييدها سنة ١٩٠٣م، وفتحت بها مدارس الصناعة، وتدريب المعلمين، والقضاة، ومعمل للتحاليل الكيماوية، وأصبحت كلية غردون المركز العالي لتخريج الإداريين والفنيين والمدرسين للعمل بالخدمة العامة، ولم تكن الثقافة الإسلامية تدرس في القسم الثانوي.[٦] وكان هناك تخوف من الأساتذة المصريين خصوصًا خريجي الأزهر الذين نظر الإنجليز إليه على أنه أشهر المعاهد تعصبًا للإسلام.[٧] وتبع قيام الكلية توسع في المدارس الأولية والابتدائية، وكانت اللغة العربية هي لغة التعليم في المدرسة الأولية أما الإنجليزية فكانت لغة التعليم في المرحلة التالية.[٨] وشهدت فترة العشرينيات والثلاثينيات زيادة ملحوظة في عدد المدارس، كما زاد عدد الطلاب، ونتيجة لمطالب الخريجين لتوسيع التعليم وقيام المدارس الأهلية زادت المدارس بعد سنة ١٩٤٦م زيادة كبيرة كما زاد بالطبع عدد الطلاب.[٩]

وهكذا؛ يلاحظ أن التعليم قد صار تعليمًا علمانيًا إن صح التعبير سعت الحكومة فيه إلى إقصاء الدين بعيدًا عن المؤسسات المدنية، وبما أن التعليم الحديث لم يستطع استيعاب الأكثرية من السودانيين خصوصًا في مراحله التالية للمرحلة الأولية بسبب قلة المدرسين، وفلسفة التعليم نفسها كانت مانعًا من نيل معظم السودانيين فرصًا في التعليم الحديث، فكانت الغالبية العظمى تنال التعليم في المدارس التقليدية ومدارس الطرق الصوفية التي عاد إليها البريق في العهد الثنائي، فلم تعد الحكومة البريطانية تتخوف من الطرق الصوفية التي لم تتناول السياسة في فكرها في هذه الفترة، عدا الختمية والتي لا خوف منها وطائفة الأنصار التي تم التعامل معها بسياسة ودية جعلها تتجه للأسلوب السلمي في محاربة الحكومة، الأمر الذي جعل دعوة المهدية القائم فكرها على الجهاد تتحول إلى دعوة سلمية مهادنة بعد تفريغ محتوى الدعوة الجهادية إلى مفهوم الدعوة المهدية الجديدة السلمي.

ثم أوجد الإنجليز عبر التعليم جماعة من المثقفين اتجهوا اتجاهًا ينقصه روح الدين، بينما لم يتأثر البعض منهم بذلك، وظل تواقًا إلى الثقافة الإسلامية، إضافة إلى جماعة العلماء والشيوخ الذين تخرجوا من المعهد العلمي، أو من قسم إعداد الشيوخ في كلية غردون، أو من الذين نالوا التعليم في مؤسسات الصوفية، أو الذين تعلموا في الأزهر، أو الذين نالوا الثقافة الإسلامية بمجهودهم الذاتي.

ظهرت حركة الإخوان المسلمين في السودان في منتصف ونهايات الأربعينيات من القرن العشرين، ذات شقين أحدهما شعبي بقيادة علي طالب الله والآخر طلابي في الكلية الجامعية، وظهر اسمها في سنة ١٩٥٤م بعد توحيد التيارين، وبعد أكتوبر جمعت حركة الإخوان المسلمين مجموعة من الفعاليات الدينية في البلاد وكونت معها ائتلافًا سياسيًا عُرف باسم "جبهة الميثاق الإسلامي"، وكانت حركة الإخوان المسلمين هي المسيطر والمتحكم في هذه الجبهة وقياداتها بقيادة حسن الترابي، الذي لم يرض البعض عن أسلوبه في قيادة الحركة وانفصلوا عنه بعد مؤتمر ١٩٦٩م، إلا أنهم عملوا معًا بعد انقلاب مايو تحت اسم "الإخوان المسلمين"، وبعد المصالحة مع "نميري" سنة ١٩٨٧م، لم ترض مجموعة الصادق عبد الماجد عن تلك المصالحة فأعلنت انفصالها في سنة ١٩٨٠م محتفظة باسم "الإخوان المسلمين"، بينما ظل الاسم سرًا عند مجموعة الترابي وصحه دستور سنة ١٩٨٢م، وبعد انتفاضة أبريل سنة ١٩٨٥م كونت حركة الإخوان بقيادة الترابي الجبهة القومية الإسلامية التي كانت أوسع شأنًا من جبهة الميثاق الإسلامي. واندمج الإخوان فيها مع احتفاظهم سرًا بمجلس شورى خاص بهم وترك كل العمل للجبهة الإسلامية عدا العمل العسكري والمالي فكان تحت إشراف الإخوان وشكل الإخوان المسلمون أغلب مجلس شوراها.

وقد حققت الجبهة في الانتخابات سنة ١٩٨٦م نجاحًا برلمانيًا كبيرًا إذا ما قورن بانتخابات الستينيات، فبلغ نجاحها في هذه الانتخابات ٥١ عضوًا في البرلمان الأخير، بينما لم تحقق حركة الإخوان المسلمين في مجموعة الصادق عبد الماجد أي نجاح في هذه الانتخابات، وكانت حركة الإخوان بقيادة الترابي هي الأكثر وجودًا وتأثيرًا في الساحة. لذا سيركز البحث هنا عليها. ويفضل الإخوان في السودان نعت الحركة وتسميتها باسم "الحركة الإسلامية"، ويستخدمون هذا الاسم تميزًا لها عن الحركة الإسلامية التقليدية في السودان. والحركة الإسلامية كما يعرفها حسن مكي تعني استنباط مصطلح جديد لحركة الإسلام التي تتحرك بالإسلام والفكر السياسي معًا، بينما تستكين الجماعات الأخرى لنوع معين من التدين وترى في ذلك تصالحًا مع التاريخ، بينما ترى الحركة الإسلامية الحديثة في السودان تحريك التاريخ وإيجاد الإسلام الحركي والنشط والفاعل، فهي ترى أن الحركات الأخرى لم تستكمل حركة التاريخ، وإضفاء المعنى والبعد السياسي يعني جمع التربية والسياسة معًا في إطار واحد.(١٠)

والمصطلح قد كان شائعًا في أدبيات الإخوان المسلمين في مصر منذ وقت مبكر، كما شاع في أدبيات الجماعة الإسلامية في الهند التي أسسها المودودي. كما وجد من قبل ذلك في أدبيات محمد عبده، ورشيد رضا، وجاء في عهد البنا عانيًا به تحريك الأمة وعقول أفرادها حتى تفهم، وتحريك قلوبها حتى تؤمن وتحريك إرادتها حتى تصمم، وأن هذا المصطلح قد انتشر في مقابل مصطلح آخر في الأقطار العربية والإسلامية، وهو مصطلح "الحركة الوطنية" و"الحركة القومية" تمييزًا لحركة الإسلام، وقد شاع مصطلح الحركة الإسلامية وانتشر على ألسنة الناس وأقلام الكتاب وأصبح مفهومًا يُنسب إليه فيقال الفكر الحركي، والدعوة الحركية، والتربية الحركية، والعمل الحركي، نسبة إلى الحركة الإسلامية.(١١)

هدف الدراسة

الهدف من هذه الدراسة هو الوقوف على رؤية الحركة الإسلامية السودانية للتعليم وذلك من خلال الوقوف على واقع التعليم في العهد الاستعماري، ثم استعراض رؤية الحركة للتعليم، والثقافة بالرجوع إلى أدبيات الحركة ووثائقها وآراء بعض كتابها ومفكريها.

أسئلة الدراسة

- ما واقع التعليم وانعكاساته على الثقافة في العهد الاستعماري في السودان؟
- ما رؤية الحركة الإسلامية للتعليم؟
- ما رؤية الحركة الإسلامية للثقافة؟
- لماذا حاز الاهتمام بالتعليم والثقافة حيزًا مقدرًا من فكر الحركة الإسلامية السودانية؟

أهمية الدراسة

تأتي أهمية هذه الدراسة في أنها تتناول جزءًا من الفكر العام للحركة الإسلامية وهي بذلك تقدم إسهامًا في طرق واحد من أبواب الفكر التربوي السوداني وهو واحد من القضايا التي تلعب دورًا كبيرًا في صياغة الإنسان ألا وهي قضية التعليم والثقافة.

حدود الدراسة

أ- الحدود الزمانية: الفترة بين (١٩٤٦ – ١٩٨٩م).

ب- الحدود المكانية: السودان بصورته القديمة قبل انفصال الجنوب.

منهج الدراسة

لما كان البحث تناول فترة تاريخية فإن المنهج الذي اتبعه الباحث هو المنهج التاريخي، حيث يعتمد الباحث على التحليل والاستنباط مستخدمًا الرؤية الذاتية في الوصول إلى الحقائق من خلال الأدلة والبراهين التي سيخلص لها في هذه الدراسة.

أولاً: التعليم

تنبع رؤية الحركة الإسلامية للتعليم من الإيمان ببسطه كفريضة على العباد، وطريق إلى عبادة الله حسن عبادته، بالإضافة إلى التفقه في الدين، وأن التعليم يمتد من المهد إلى اللحد، وتؤمن الجماعة بإصلاح المناهج التعليمية على قاعدة التوحيد بالله، ووحدة المعرفة التي لا تناقض فيها بين العلم والإيمان، ولا بين العلم الشرعي والعلم الوضعي، وجعل التعليم الأساس إلزاميًا للنشء، وتعميم التعليم الوظيفي وتعليم الكبار، واختيار المعلم الصالح وتأهيله وتدريبه وتحسين أوضاعه حتى يحسن أداء مهمته، وعلى أن تكون اللغة العربية هي لغة التدريس،(١٢) والاهتمام بالتعليم وإيجاد نهضة علمية تصل حاجة المجتمع وتكيف العلوم بالمنظور الديني.(١٣)

تربط الحركة الإسلامية بين الدين والتعليم ربطًا وثيق العرى، وفي ذلك يشير الحبر يوسف إلى أن التعليم حق وواجب مقدس يرتاده أي مسلم، والتقدم العلمي أمر يباركه الإسلام ويحض عليه قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ الجاثية آية:(١٣). فلم يحدث أن حارب الإسلام العلم والعلماء، ومن هنا كان علماء الإسلام لا يفرقون بين دين ودنيا، فالطريق واحد، ولكنه قاصد إلى الله، وكانوا يرون أن التقوى هي مفتاح العلم قال تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ البقرة آية: (٢٨٢)؛ كما روي عن الإمام البخاري أنه قال ما وضعت في كتابي الصحيح حديثًا إلا واغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين، وها هو الإمام مالك يعجب بذكاء تلميذه محمد بن إدريس الشافعي فيقول له يا غلام "إن لك شأنًا فاجتنب المعاصي".(١٤)

وهم في ذلك يتفقون مع مفكري وعلماء وفلاسفة التربية المسلمين كالغزالي مثلاً في رسالته التوجيهية لطالب العلم (أيها الولد) عندما يذكر (أن خلاصة العلم أن تتعلم الطاعة والعبادة).(١٥) وكما في رسائل إخوان الصفا في توجيههم للمتعلم حيث يقولون: "واعلم

دورية إلكترونية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

يا أخي بأن كل علم وأدب لا يؤدي بصاحبه إلى طلب الآخرة ولا يعينه بالوصول إليها فهو وبال على صاحبه وحجة عليه يوم القيامة". فالعلم عندهم يهدي إلى ملكوت السماء ويعين على الصعود إلى هناك، قال تعالى: "إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ".(١٦) فيما يلي تناول رؤية الحركة الإسلامية للتعليم بشيء من التفصيل:

١/١- المناهج:

يرى الإخوان المسلمون في السودان ضرورة أن تصاغ المناهج التعليمية بحيث تناسب الثقافة والبيئة السودانية.(١٧) وقد نادوا في دعوتهم منذ الخمسينات إلى تركيز مثل عليا في الحياة السودانية تتناول الحياة الاجتماعية والسياسية القائمة على الدين، بسبب ضعف قيم الدين في سلوك الناس، وأن التيارات والافكار غدت تغزو المجتمع (الغزو الثقافي) ولا تجد مقاومة منظمة لذلك كان رأيهم أن تتم تلك المقاومة عن طريق التربية الإسلامية ولذلك دعوا إلى أن يكون التعليم موحداً لمفاهيم الشعب وتكوينه، ويكون ذلك باستمداده من تاريخ الإسلامي وحميد عاداته وإيجاد مناهج تعليمية جديدة تعكس التوجه الإسلامي والعمل على ترقية المناهج وتوجهها على أساس نابع من الإيمان الكامل بتوحيد الله سبحانه وتعالى، وأن مناهج التعليم في السودان يجب أن تقوم على فلسفة تجعل من التعليم يقود إلى الاستقامة والطهر، ويحارب الانحلال الأخلاقية والفكري، وأن يتم انتقاء التعليم الذي يدعو للفضائل وإبعاد المفاهيم الفاسدة التي تبذر الفساد في قلوب الطلاب وتؤكد الضلال.(١٨) وأن تكون تلك الفلسفة قائمة على الإسلام كقاعدة لصياغة مناهجه.(١٩)

ودعا في ذات الشأن مالك بدري إلى ضرورة تضافر جهود علماء النفس التربوي المسلمين مع أخصائي المناهج وطرق التدريس، لإيجاد مقررات حيوية للوثوق من تخريج أجيال مسلمة ترى في تطبيق الإسلام شيئًا من الدين، وليس مجرد شعائر دينية.(٢٠) كما أمّنتْ الحركة الإسلامية على ضرورة تدريس الدين الإسلامي في كل المراحل، بدءًا من رياض الأطفال وانتهاء بالجامعة، مع التدقيق في اختيار أساتذة يكونوا قدوة حسنة لطلابهم ومثلاً يحتذى، وكذلك دعوا إلى العناية بدروس القرآن الكريم، والاهتمام بدراسة السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي والفتوحات الإسلامية، وأعلام الفكر الإسلامي ورجالات التشريع وغيرهم من علماء الإسلام، وأن تدرس الجغرافية الإسلامية وثروات العالم الإسلامي وإمكاناته، والتعامل مع قضية فلسطين كقضية إسلامية، والاهتمام بأخلاق الناشئة وبث روح البطولة في نفوسهم، ورفع المستوى العلمي لتخريج الخبرات العلمية.(٢١)

وكشأن رفض الحركة للقوانين التي صيغت على فلسفة استعمارية، جاء رفضهم لفلسفة التعليم الاستعمارية، ذلك لأن مناهج التعليم بصورتها تلك لا تلبي حاجة المجتمع السوداني المسلم، بل وتسعى إلى إقصاء الإسلام عن الحياة، وأن تلك المناهج التي صاغها الاستعمار تهدف إلى إخراج جيل من المثقفين على غرار وشاكلة الفكر الاستعماري ومناهجه ومن خلال منظوره الفلسفي للتعليم، ولذلك كانت دعوتهم ملحة لصياغة المناهج التي تخرج الأجيال التي ترجع إلى ذاتها الإسلامية وثقافتها.(٢٢)

يعتبر **المنهج المحوري** من المناهج الحديثة التي ظهرت كرد فعل للمنهج التقليدي الذي استمر عشرات السنين مركزًا على اهتمامه على المواد الدراسية حتى أصبحت هدفًا في حد ذاتها، وقد أدى ذلك إلى إهمال التلميذ فلم يكترث بميوله ولم ينظر إلى حاجاته ولم يهتم بمشكلاته بل وقدم المواد الدراسية إلى كل التلاميذ دون مراعاة لما بينهم من فروق فردية. كما أدى ذلك أيضًا إلى إهمال المجتمع فتقوقعت المدرسة داخل أسوارها وعزلت نفسها عن البيئة والمجتمع، وقد أدى ذلك إلى فشلها في القيام برسالتها الاجتماعية وإخفاقها في تحقيق الأهداف التي خلقت من أجلها. وكلمة محور لغويًا تتشابه إلى حد كبير مع كلمة "مركز" أي النقطة التي يدور حولها شيء ما، أو الجزء الرئيسي من الموضوع الذي ترتبط به وتدور حوله بقية الأجزاء، وعلى هذا الأساس يكون المنهج المحوري هو المنهج الذي يدور حول محور من المحاور.

و**البرنامج المحوري** هو ذلك الجزء الرئيس من المنهج الذي يشترك فيه جميع التلاميذ، ويهدف هذا الجزء إلى تزويدهم بالحقائق والمفاهيم وإكسابهم المهارات والاتجاهات اللازمة لهم في حياتهم كمواطنين بما لهم من حقوق وعليهم من واجبات نحو وطنهم، ويتكون هذا الجزء من مجموعة من الميادين أو المجالات التي تم تصنيفها وفقًا لحاجات التلاميذ ومشكلاتهم العامة، ويتكون كل ميدان أو مجال من مجموعة من الوحدات الدراسية يقوم التلاميذ بالتخطيط لها وتنفيذها تحت إشراف المعلم وتوجيهه وإرشاده.(٢٣)

وقد دعت الحركة الإسلامية إلى تبني المنهج المحوري، وهو ذلك المنهج الذي ينادي بتحطيم الحواجز بين المواد الدراسية وربطها في وحدة واحدة عبر فلسفة متجانسة، وقد نشأ هذا المنهج للإحساس بأن الفصل بين المواد الدراسية يعرقل النمو المتكامل في العملية التربوية. فكانت المناداة بتطبيق ذلك المنهج على أن يستمد أصوله وفروعه واتجاهاته من أصول الدين، وذلك ليمكن الطالب من أن يكون مسلمًا تفكيرًا وعملاً، وتحقيق مفهوم الإسلام في أن يكون التعليم مولدًا للأحاسيس والمشاعر الدينية، وموقظًا ومولدًا لأنماط السلوك والعادات الإسلامية، وهذا لا يتأتى إلا بإيجاد بيئة مدرسية قائمة على الدين من قمتها إلى قاعدتها، وأن تشيع وتوفر المدرسة الروح الدينية وذلك بتوفير أماكن للعبادة، وحث التلاميذ على أداء الصلوات والواجبات الدينية، والاهتمام بالمناسبات الدينية وإحيائها في المدرسة.(٢٤)

٢/١- الثنائية في التعليم:

يرى "الترابي" أن العلم الحق في نظر المؤمن كله واحد شرعية وطبيعية، عقلية ونقلية، لأنه موصل إلى معرفة الله عن طريق

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

أفعاله وسننه. فالعلم نور يكشف للمؤمن الصراط البين المؤدي إلى الله، ويزيد العالم معرفة بالله ويبدد عنه حجب الجهالة والشك، ويضاعف لديه دوافع الإيمان وضوابطه التي تحثه على النهوض بالدعوة إلى الله، والوقوف عند حدود.[٢٥] فالعلم بالشريعة لا يكون صادقًا إذا قصره صاحبه على معرفة النصوص وأحكامها، دون العمل بها في صالح الدنيا، ولكن ينبغي أن تكون نية فهمه للنصوص كي يجعل ذلك من التزامه التزامًا مقرونًا بالخالق، وكذلك العلم الطبيعي لا يكون على حق إذا اقتصر على معرفة وخصائص الأشياء وقوانين الكون لاستغلالها للمصلحة الدنيوية، وإنما العمل ما يبصر صاحبه بدلالة الأشياء على معرفة الله تعالى، والسمو به من عالم الشهادة إلى حقائق عالم الغيب، حتى تغمره فيوضًا من الإيمان وتنبعث فيه روحًا تواقة إلى الله فعالة في سبيله، ولهذا عَرف العلم مقرونًا بالتقوى (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)، كما يرى "الترابي" أن دين المرء لا يتم إلا إذا عمل على هدى من العلم.[٢٦]

كما يرى أنه يجب أن يجعل للعقل قدرًا كبيرًا في الاهتداء إلى الوجود بالتفكير في الآيات الكونية ليتم له اليقين بوحدانية الله، معتبرًا بما جاءت به الرسل ليطمئن بالتصديق بأنه الحق، فالدين ينافي معنى الإكراه في الرأي ويقتضي المجاهدة والإقناع بالتي هي أحسن، ويرفض التبعية العمياء للرؤساء والسادات والكبراء أو التقاليد الموروثة، كما يقتضي الدين تحرير الفرد لعقله ويطلب العلم أينما كان.[٢٧]

وفي الدعوة إلى إيجاد النظام الإسلامي الذي يتميز بإعداد الأفراد الذين يجمعون بين الإيمان كمرجعية للوحي، ودور العقل الإنساني في فهم تعاليمه وكلياته بقصد تنزيلها على الواقع المعاش والفهم السديد لاستيعاب الواقع، رأت الحركة الإسلامية ضرورة تجاوز تلك الثنائية في التعليم، وأن إسلامية التعليم هي في الأصل تأهيل الأجيال لتقوم بدورها الذي أراده الله لها، فلذلك يرفضون فلسفة التربية والتعليم القائمة على الثنائية في التعليم (المدني والديني)، التي أدت إلى تقسيم الطلاب عن التخرج إلى فئتين، فئة الأفندية الذين يحملون مفهوماً للحياة وفق النظرة الغربية، وأصحاب العمائم الذين يحملون الثقافة الإسلامية، وكان التعصب للتعليم المدني بإقامة مدارسه واستيعاب الخريجين في الوظائف وصرف النظر عن خريجي المعاهد العلمية، فنتج عن ذلك حصر الدين في زاوية ضيقة لا تتجاوز المساجد والزوايا، وكان من نتاج تلك النظرة القائمة على الثنائية في التعليم حدوث هوة عميقة بين مقومات الأمة التي تعتمد على العقيدة والدين وبين مناهج المثقفين بثقافة المستعمر، لذلك فمن الواجب القضاء على هذه الثنائية بإيجاد فلسفة للتعليم توحد بين النوعين من التعليم تقوم على ثقافة الأمة وتراثها.[٢٨] واعتبر الترابي تلك الثنائية التي تعزل العلم الديني عن العلم المدني تعود إلى روح الإشراك الذي أصاب الحياة الأوربية في كل توجهاتها السياسية والاقتصادية والثقافية، فالمجتمع المؤمن بالله والموحد لذاته العلية ينبغي أن يكون العلم والتعليم عنده داعيًا إلى الوحدة بين التعليمين.[٢٩]

واستصحابًا لكل تلك المعاني، فإن التعليم الذي تنشده الحركة الإسلامية لا يكون تعليمًا دينيًا صرفًا ولا تعليمًا مدنيًا محضًا، وإنما تعليم يجمع بين التعليم المدني والديني وبذلك يمكن إيجاد الأطباء والمهندسين وغيرهم الذين نالوا الحد الأدنى من التعليم الديني.[٣٠] وبذلك المفهوم فالحركة ترى أنه لا يمكن حدوث نهضة علمية في السودان ما لم تحرك معها كل معاني الإيمان بالمزج والجمع بين التعليمين، وأن تستمر تلك النهضة لترسيخ التقوى بالله، وأن تصب في مصلحة البشرية وهي تبتغي غاية الله في خلق الوجود والكون ألا وهي عبادته سبحانه، وهذا ما يتفق مع النظرة للتعليم كما جاء في بعض السلف "إن العلم دين".[٣١]

٣/١- التوسع في التعليم:

ومن أجل إحداث النهضة في السودان نادت الحركة الإسلامية بضرورة أن يشهد السودان توسعًا في التعليم في المدارس والتعليم العالي وفق خطط وبرامج مدروسة،[٣٢] كما نادت بالتوعية للقضاء على الأمية والجهل، وتعميم التعليم الأساس، والسعي للنهضة العلمية التي تصل حاجات المجتمع المادية بمقاصد حياته المعنوية، وتكييف علوم الطبيعة والاجتماع بالمنظور الديني.[٣٣]

٤/١- التعليم الفني:

ونادت الحركة الإسلامية في السودان أيضًا بالتوسيع في التعليم الفني الذي من غيره لا يمكن حدوث نهضة علمية، وفي ذلك يذكر الركابي أنه لا يمكن حدوث نهضة في السودان ولا تقدم فيه إلا بإفساح المجال واسعًا للفنيين وإغداق التكريم عليهم، ولا بد من الاهتمام بالتدريب المهني والتعليم الصناعي، وأن يكون هناك توسيع لا حدود له في ذلك النوع من التعليم، ويسترشد في ذلك بالقرآن الكرين في قصة ذي القرنين. ذاكرًا أن الخبرة التقنية والفنية استطاعت أن تنقذ شعبًا كاملاً، وذلك أن ذا القرنين بما لديه من خبرة فنية وتقنية استطاع أن يعلم أولئك القوم صهر الحديد وأقام لهم بذلك المجهود التقني السد الحديدي والبناء المعماري الذي انقذهم من خطر يأجوج ومأجوج.[٣٤]

ومن تلك المعاني جاء برنامج الجبهة الإسلامية الانتخابي مؤكدًا على ذلك عندما أشار إلى الاهتمام بالتعليم الفني بنهج هادف وبناء، وربطه بحاجات البلاد الفعلية.[٣٥] ولعل تلك النظرة إلى التعليم الفني والنهوض به تتفق مع ما نادى به بعض التربويين بأن التربية ومؤسساتها يجب ألا تقف مكتوفة الأيدي أمام التطورات التي تحدث في العالم بسبب التفجير المعرفي والتطور العلمي.[٣٦]

٥/١- التعليم الأجنبي:

طالبت الحركة الإسلامية بضرورة إشراف الدولة على التعليم الأجنبي ومناهجه، وكان رأيها أن وجود التعليم الأجنبي في السودان بوضعه ذلك دون إشراف الدولة عليه يسبب إشكالاً كبيرًا، حيث أنه يوجد نوع من المتعلمين الذين يحملون معاني ذلك التعليم

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

الأجنبي روحًا ومعنى، فكان الحث على المراجعة الشاملة لهذا النوع من التعليم في السودان لما فيه من خطورة على الأمة، فالمناهج التعليمية التي تطبق في ذلك التعليم ومدارسه هي في الواقع مناهج من خارج البيئة السودانية، ولا تشرف عليها الحكومة، بل تشرف عليها حكومات أجنبية، كما تحمل تلك المناهج في طيات كتبها بذور مجتمع غير المجتمع السوداني وتفكيره وأخلاقه، الأمر الذي يدخل في أذهان الطلاب تلك المفاهيم والمضامين التي لا تنتسب إلى فلسفة التربية السودانية، ولذلك رأى الإخوان ضرورة وضع الدولة في السودان يدها على تلك المدارس وضمها إليها وفق المنهج السوداني.[٣٧] وبالطبع حسب رؤية الحركة الإسلامية للمناهج.

٦/١- الانتساب:

دعت الحركة الإسلامية إلى فتح التعليم بالانتساب وإتاحة الفرص للكثيرين ممَنْ لديهم الرغبة في الالتحاق بالتعليم ولكن ظروفهم حالت دون ذلك.[٣٨] والباحث يرى في ذلك نظرة كانت متقدمة في السودان وسابقة لأوانها، وذلك ما يُعرف اليوم بالتعليم عن بعد والجامعات المفتوحة.

٧/١- إعداد المعلم:

يُشبه الإمام الغزالي مَنْ يتقلد وظيفة المعلم بنائب الرسول حيث يتقلد أمرًا عظيمًا وخطرًا جسيمًا، ويسوق في ذلك جملة من الصفات يجب أن يتحلى بها من يقوم بمهمة التعليم وعلى رأسها العلم والتقوى.[٣٩] وبذلك المعنى لما هو معلوم لم تعد اليوم وظيفة المعلم مقصورة على توصيل العلم إلى المتعلمين فحسب، ولكن وظيفته تعدت تلك الدائرة المحدودة إلى دائرة التربية بمعناها الأوسع، فالمعلم مربٍ أولاً وقبل كل شيء، لذا فلا بد وهو يقوم بذلك الدور في المجتمع المسلم أن يكون محترمًا لدينه وتقاليده القويمة غير مستحقر ومستخف بتقاليد مجتمعه ودينه، فالطفل لا ينشأ على احترام تلك القيم إذا لم يجد المعلم الذي يرعى ذلك الدور.

كما يرى بعض علماء التربية لكي يكون المعلم مؤديًا لرسالته التي يتميز فيها أداؤه بعدم الضعف، وحتى لا يشعر بالارتباك في عمله ودوره في المشاركة في العملية التربوية في اشمل صورها، ومشاركته بإبداء الرأي والقرار وصياغة المناهج، فلا بد أن تؤمن له الإمكانات المادية والنفسية، حتى لا يؤدي نقص ذلك إلى شعوره بالإحباط، الأمر الذي ينعكس سلبًا على العملية التربوية، إضافة إلى الإعداد المهني وتقديم الجوائز والحوافز للمعلم، حتى لا يتساوى أداء المعلم الجيد مع أداء المعلم غير الجيد إضافة إلى التأهيل الفني والرقي به ماديًا.[٤٠] ولتكن المدرسة أكثر المؤسسات الاجتماعية تأثيرًا وفعالية لتحقيق أهداف التربية التي تنشد النموذج المثال ينبغي أن تقابل الحاجات الأساسية للمعلمين لتحقق المدرسة رسالتها والأهداف التي ينشدها المعلم والطلاب جميعًا.[٤١]

والحركة الإسلامية في السودان ترى أن المعلم هو رسول التربية، وإذا لم يكن كذلك فلا يصح أن يكون معلمًا حتى يطبع عمله بذلك الفهم، فلا بد من إعداده إعدادًا رصينًا يجعله يستطيع القيام بهذه المهمة الجليلة والتي تحدد مصير الأجيال والأمة، لذلك نادى الإخوان بالتدقيق في اختيار المعلمين وتوفير العناصر الجاذبة لهم نحو هذه المنة فيقبل عليها الشباب من ذوي الكفاءة.[٤٢]

وكان رأيها أن المعلم الذي تقوم عليه العملية التربوية والتنشئة المباشرة للتلاميذ لا بد من إعداده إعدادًا قائمًا على الإسلام. فإن "تربية النشء على قيم الإسلام لا يمكن أن تؤدي دورها والغرض منها ما لم يكن على رأسها مدرس يربي النشء على أساس علمي واضح يؤمن هو بتطبيقه لا أن يكون مجرد وظيفة، فلا بد من إعداده إعدادًا إسلاميًا في فكره وثقافته.[٤٣] وعلى المعلم أن يراعي شرف المهنة وأهميته في التربية وخلق جيل صالح يؤدي واجباته نحو وطنه ودينه، فالتدريس رسالة كبيرة تحتاج إلى المؤهلات العلمية ومراعاة الجانب الأخلاقي عند اختيار المعلمين الذين ينبغي أن يكونوا قدوة ومثلاً، وذلك لا يتأتى إلا بوجود فلسفة عقائدية وروحية تضبط تصرفاتهم داخل المدرسة وخارجها.[٤٤]

رأت الحركة الإسلامية أن الأخ المسلم كداعية للإسلام هو معلم في المقام الأول، ولا بد أن ينال الأخ العضو التربية والتثقيف الجيد ليكون معلمًا جيدًا وعبر ذلك الإعداد يتم انطلاق العمل الإسلامي الخارجي في المجتمع تعهدًا له بالإصلاح، ودعوة إلى الحق وتعليمًا للمثل،[٤٥] فينساب العاملون في الحركة في ثنايا المجتمع كالنور الوضاء في شعاب الظلام.[٤٦]

٨/١- التربية العسكرية:

دعت الحركة الإسلامية إلى تربية الشباب تربية تحارب الميوعة والانحلال، وذلك بنشر الصرامة العسكرية في الشباب، وفي ذلك ينادي الركابي "إن الروح الذي يجب أن يسود بين الرجال والشباب هو التحول إلى أمة مقاتلة قوية الشكيمة شديدة البأس، حتى إذا حاول مجرم عضها تكسرت أنيابه على إهابها المدرع، وأن هذه الروح العسكرية لا تنشأ إلا إذا سكت صوت الانحلال في كل مكان، ودوت الصرامة العسكرية في الشباب وهو يتحدث ويناقش ويعمل، وإن الاستهتار والتفسخ والرخاوة وحب الدعة رذائل قاتلة لا يطرب العدو* لشيء كطربه لشيوعه في الأمة.[٤٧]

ثانيًا: الثقافة

وتشتمل الثقافة على عناصر عديدة تتمثل بالمعارف والمعتقدات والفنون والقواعد الأخلاقية والقوانين والمهارات والعادات والقدرات التي يكتسبها الفرد من المجتمع الذي يعيش فيه، وهي تتضمن اللغة وطرق الحياة وأنماط المعيشة والأدوات والوسائل والتقنيات والنظم والمؤسسات والنشاطات والاهتمامات وما ينشأ من كل ذلك من أنماط السلوك. ويتعلم الفرد عناصر الثقافة الاجتماعية المحيطة به أثناء نموه الاجتماعي عن طريق التنشئة الاجتماعية وفي أثناء تعلمه في المؤسسات التعليمية والهيئات والمجتمع بشكل عام.

يتبين مما سبق أن **مفهوم الثقافة** يعني التراث الإنساني لمجتمع معين وما ينشأ عنه من سلوك يشترك فيه أفراده وفضلاً عن تحديد لنوعية الحياة في المجتمع وطبيعة العلاقات ونمط التفاعل وحركة النمو والتطور.[٤٨] يمكن تعريف الثقافة على أنها ذلك الكل المركب من مجموعة المعارف والأفكار والمهارات والعادات والتقاليد والقيم والمعتقدات وطرق المعيشة ووسائل الإنتاج المادي، أو أنها جميع أساليب الحياة التي نحياها بجانبيها المادي والمعنوي. ويتضح من هذا التعريف أن الثقافة ليست الكم المعرفي الذي تحمله عقول الأفراد فحسب، كما أنها ليست الجوانب المادية لحياة الناس فقط، بل هي مزيجُ من الجانبين:

أ- الجانب المعنوي بما يتضمنه من قيمٍ وعاداتٍ ومعتقداتٍ وأفكارٍ ولغةٍ وفنٍ ومعارف وقوانين وتقاليد.

ب- الجانب المادي مُمثلاً في الأدوات ومظاهر التكنولوجيا المختلفة ووسائلها، التي يستعين بها الأفراد في حياتهم كالملبس والمسكن ووسائل النقل المختلفة والمصنوعات المتعددة.

وبالنظر إلى جوانب الثقافة، نجد أنها تتضمن الخبرة البشرية التي أنتجها العقل الإنساني كالمعارف والآداب والفنون والنظم والقوانين والدساتير والعادات والتقاليد والقيم والأعراف. كما تشمل الثقافة فوق ذلك كله، المعرفة الإلهية المتمثلة في الحقائق والمفاهيم والمبادئ والأفكار الواردة في الديانات السماوية الثلاث، لما لهذه المعرفة الإلهية من تأثير قوي في حياة قطاع كبير من الناس وعاداتهم ولا سيما في تقاليدهم وقيمهم ومعتقداتهم وأعرافهم.

ومن جهة أخرى؛ يتضح اشتمال جوانب الثقافة على مظاهر التكنولوجيا والأدوات والوسائل والعمارات والسيارات والطائرات والقطارات والطرقات والآلات والأجهزة والأسواق والأزياء والمخترعات. ويرتبط الجانب المادي للثقافة بالجانب المعنوي ارتباطًا وثيقًا، حيث يمثل البناء الشاهق المؤلف من أربعين طابقًا مثلاً، جانبًا ماديًا من جوانب الثقافة.[٤٩]

تلعب التربية أهمية كبرى في نمط وثقافة المجتمع وتحديد وجهتها. والثقافة تستمر وتتفاعل ويلعب الإنسان دورًا هامًا في توجيه مسارها ورسم طرائقها، وربما حاول فصلها عن جذورها وقطع صلتها من أصلها وصاغ ثقافة جديدة. وتأتي أهمية التربية في التحول الثقافي كما حدث في تحويل تركيا من دولة الخلافة الإسلامية إلى دول علمانية على يد الكماليين، أو كما حدث قبل ذلك في الجزائر في تحويل قسري لثقافة المجتمع المسلم العربي إلى ثقافة فرنسية عبر سياسته الفرنسية التي عانى منها الشعب الجزائري معاناة كبرى لاستعادة هويته كشعب مسلم وإلى العروبة ينتسب.

وفي السودان حاول المستعمر استلاب أهل السودان ثقافتهم أو جزء منها، ونجح في ذلك المسعى كما ذكر من قبل في وسط المثقفين، ولذلك ظهرت حركة الإخوان المسلمين في السودان كمعبر عن الدعوة إلى العودة إلى الثقافة الإسلامية في أوجه الحياة الثقافية المختلفة في السودان. فانطلقت الحركة من إيمانها بنشر الثقافة الإسلامية وراء المبادئ التي يجب أن تصاغ بها الثقافة السودانية وهي الثقافة العربية الإسلامية، في جوهرها وصميمها ومضمونها وفي ذلك دعوا إلى وجوب أن تكون الثقافة ثقافة روحية تعتمد على قيم الإسلام، وذلك بإحياء روح الإسلام وتحريكه وإذكاء جذوته بالعودة إلى المبادئ للحضارة ومفهومهم في ذلك أن القيم الروحية والمادية تشابه جسم الإنسان الذي يحمل العقل (الروح) والجسد (المادة)، فكانت دعوتهم إلى إقامة المعنيين معًا، فلا استقامة للحضارة دون استقامة الروح والمادة، ولا يمكن النهوض بالحضارة القائمة على الروح الإسلامي ما لم تذلل أمامها كافة العقبات المادية وإحكام الوسائل العصرية.[٥٠]

مما لا شك فيه؛ أن التلفزيون والإذاعة استخدمتا كوسيلتين تعليميتين ذات فائدة كبيرة في الدول المتقدمة كأمريكا مثلاً، فقد تم استخدام التلفزيون والمذياع كأداة للتعليم منذ الخمسينيات، لدرجة أن بين كل ثلاثة أشخاص هناك شخصان قد استفادا تعليميًا منهما كوسيلتين تعليميتين.[٥١] ولما كان لتقدم وسائل الإعلام الحديثة وما تقوم به من دور تربوي في المجتمعات الحديثة مثل الصحافة المقروءة والإذاعة والتلفاز والسينما، وتلك الوسائل التي جعلت الخبر والفكرة والرأي شركة بين الناس عامة، وتشملهم جميعاً دون فرق بينهم وتختصر المسافات البعيدة مما جعلها تصل إلى الجماعات في مختلف الأمكنة واعتمادها على العلم والآلة الحديثة مما جعل تأثيرها قويًا بين الناس، ومن ثم كان تأثيرها التربوي والثقافي والتعليمي على شتى المستويات.[٥٢]

لكل ذلك كان حرص الحركة الإسلامية على الاهتمام بقضية الإعلام. ونادوا بالأهمية الكبرى للوظائف التربوية والاجتماعية والسياسية ونشر الثقافة له، وكذلك الاهتمام بحركة التأليف والترجمة والنشر والبحوث ودعمها وترشيدها من الإغواء والفكر المنحرف والأدب الرخيص، وتيسير الاطلاع والمعرفة وكافة السبل الثقافية، والاهتمام باللغة العربية وترقيتها وإحياء رسالتها ونشرها في أصقاع السودان المختلفة،[٥٣] كما أشار البرنامج الانتخابي للجبهة الإسلامية إلى تشجيع حركة الآداب والعقل وتفجير الطاقات والمواهب وربطها بمقاصد الحياة المتدنية.[٥٤]

وكانت الدعوة إلى نهضة أدبية رفيعة تجعل من الأدب يحمل في طياته القوة التي تقتلع منه الجمود الفكري.[٥٥] كما جاء نقدهم للأدب المقرر في المرحلة الثانوية في الستينيات حيث ركز على بث مقاطع وقصائد من الشعر الذي يكثر من السفاهات والخنثيات والخمريات، محذرين من ذلك النوع من الأدب والشعر وما فيه من أثر في غرس بذور الفساد وتعهد الضلال في نفوس الشباب، وكأنما عدم الأدب العربي في شعره الضخم إلا من تلك الضروب.[٥٦] وقدمت جريدة الميثاق الإسلامي عبر صفحة الأدب تشجيعًا لناشئة الأدباء، ذلك بعرض انتاجهم عبر تلك الصفحة وتقديم النقد الأدبي لذلك الإنتاج وتوجيهه وتشجيع تلك الملكات الأدبية.

وفي مجال الفن عرف الإخوان الفن الإسلامي بأنه هو الفن الذي يصور الوجود من زاوية التصوير الإسلامي، ذلك التصوير الذي يفتح عوالم رحبة تشع نورًا ربانيًا، ذلك الفن الذي يغذي الفطرة السليمة فينميها ويتعهدها بكل عوامل الحياة، فالفن الإسلامي هو الذي ينبعث من عقيدة الإسلام وشموله.(٥٧) ونادت الحركة الإسلامية إلى إيجاد فن هادف ينشر الوعي ويصقل الذوق ويهذب العاطفة وينمي المدارك الفنية، ويترع الأرواح بفن ينبع من الواقع السوداني ويعكس آمال الشعب وتوجهاته ويشحذ الهمم، وينهض بالنفوس، ويقوم الانحراف، فالفن ليس ترفيهًا فقط وإنما هو رسالة غايتها الإنسان تثقيفًا وتهذيبًا، والفن في مفهوم الإسلام كما يرى الإخوان لا يتعارض مع الإسلام، فهو الذي يلبي النزعة الجمالية في الإنسان عندما طالبه بإمعان النظر في النجوم، وفي صمت البحر، وفي الحدائق الغناء ذات البهجة، وكل جماليات الحياة.(٥٨)

ويرى الترابي أن الفن هو إحساس وشعور وفطرة، لذا ينزع الإنسان لاتخاذ الزينة والمباني، وفي مشاهدة الجمال في الطبيعة تتجلى بدائع صنع الخالق المصور الذي أتقن كل شيء. فإذا التمس المؤمن تلك المعاني الجمالية زادته إيمانًا بربه وبكماله (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ). وفي مواطن الزينة التي أخرجها الله إلى عباده تبدو لطائف نعمه. ويشير الترابي إلى أن ذا الذوق الفني يمكن أن يتجه بمعاني الإيمان لتعبر له عن تعبير فني رائع وأداء جميل، ففي الإسلام وجد النساخ في الخط العربي والكتب الدينية والبناء وتصميم دور العبادة وتزيينها، فكان فنهم منفعلاً بالدين فأخرج ألوانًا فنية جميلة من الأنغام والموسيقى والتصوير والزخرفة. كما يرى أن في العبادة معنى يتسع لكل الحياة وينظم كل حركة فيها باستصحاب ذات الله والتزام طاعته، "وإذا سلم الإنسان نفسه لهذا المعنى الشامل لقى نفسه موصولاً بربه حيثما اتجه بحياته، تحدوه دواعي الإيمان إلى أرقى الأعمال الفنية فيطرق بفنه كل أبواب الحياة مستقيمًا في ذلك كله على طاعة ربه".(٥٩)

وإذا كان الفن وما صاحبه من ممارسات بعيدة عن الإسلام مما يجعل الفن يبدو كله ليس من الدين في شيء، فينظر الإنسان أنه من الخير له أن يجانب مواطن الابتلاء. فالمؤمن الذي ينأ بنفسه عن مواطن الابتلاء كلها ولا يحدث فيها اختلاف فهو في نظر الترابي لا يعتبره من الفائزين. ولكن الأولى من ذلك على المؤمن أن يغشى مواطن الابتلاء بنية خالصة وإجراء سليم، وبالإخلاص والتقوى والمثابرة على تزكية النفس بالعبادة الصالحة والمخلصة حتى تتقوى على خوض الحياة وتعظم بذلك أبعاد حياته وأدواره فيها.(٦٠)

إن الترابي في تلك المعاني كأنما يشير إلى أن انحلال الفن وانحرافه عن الجادة وسواء السبيل، ليس مبررًا لأن يعتبر كل الفن رجسًا من عمل الشيطان وجب اجتنابه، ولكنه يصوب بمفهوم الإصلاح والنهوض به من الزيغ والضلال، ويرى أنه لا بد من ولوج واقتحام مواطن الابتلاء والعمل بالنية الخالصة على الإصلاح الإسلامي للفن. ولعل الترابي لم يخرج – على الأقل في مفهوم الموسيقى والغناء كفن – عن مفهوم حسن البنا في المطالب الخمسين والتي نادى فيها إلى تهذيب الأغاني واختيارها ومراقبتها والتشدد في ذلك، وحسن اختيار ما يذاع على الناس من تلك الأغاني.(٦١)

والباحث يرى أن الترابي في ذلك يرد على أولئك الذين يتجادلون في ديار الإسلام عن عزل المسلمين عن كل الفنون التي تأتي من الغرب. ذلك كان يمكن حدوثه في زمان مضى عندما كانت سبل الاتصال غير ميسورة، وكان الناس معزولين عن بعضهم البعض، ففي عالم اليوم لم يعد ذلك ممكنًا. فحجب بلاد المسلمين عما يدور اليوم في العالم أمر صار لا يمكن حدوثه شأوا أم أبوا، فلا بد إذن من ربط الفن بالإسلام والنهوض به ليكون فنًا إسلاميًا.(٦٢)

ومن نظرة الحركة الإسلامية لوظائف الإعلام التربوية فإنهم يرون أن التلفزيون أداة هامة في نشر العلم والأخلاق الفاضلة والتربية الفكرية، إذا اعتنى القائمون بأمره ليعرض ويقدم المواضيع الصالحة، وأنه كذلك يكون أداة للقضاء على مقومات الأمة ويعمل على نشر الانحلال، وبث الرذائل إذا أهمل القائمون على أمره الرقابة عليه، وكذلك الإذاعة فعلى تلك الأجهزة أن تبث المواضيع الهادفة التي توجه الشعب وترسي قيم الإسلام، وتنأى عن بث المواضيع المفسدة والمخالفة للإسلام.(٦٣)

وفي تلك النظرة إلى الإعلام ووسائله كأدوات عصرية، لم يدعُ الحركة الإسلامية في السودان إلى تحريمها وتكسيرها وجعلها منها شرًا مستطيرًا، لكنها رأت أن أجهزة الإعلام وكل ما تتجه الحضارة الإنسانية من وسائل إعلامية، سلاحًا ذا حدين، إن أحسن التوجيه صار الخير العميم والفائدة القصوى، وإن لم يحسن التوجيه جاءت الشرور تترى وعمت المفاسد والبلوى.

وختامًا يمكن القول أن الحركة الإسلامية قد أولت التعليم والثقافة، درجة عالية من الاهتمام لعلها تتبع من أن بلاد المسلمين تواجه حربًا لا هوادة فيها، تشن على الإسلام عبر التعليم ووسائط الثقافة، ولا يمكن صد غائلة تلك الحرب إلا عبر نشر التعليم الإسلامي في جميع المراحل بما يجعل لعلوم الدين من قرآن وسنة نصيبًا وافرًا وحفظًا أساسًا لكل ما يدخل في أذهان الطلاب، ويكون الدين بمثابة الضوء الذي يكشف وجوه الحق، فما كان حقًا تم قبوله والإبقاء عليه، وكان باطلاً جاء رفضه ونُحي بعيدًا، ونفس ذلك الشيء ينطبق على وسائل الإعلام والثقافة.

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

خاتِمَةُ

قدمت الحركة الإسلامية رؤية تعليمية وثقافية متقدمة حتى بمفهوم اليوم وهي جديرة بالاعتبار، ويمكن استخلاص عبر منها وذلك في ما يلي:

- أهمية ربط التعليم بالدين ربطًا وثيقًا لمجابهة الغزو الفكري والثقافي.
- رفض الثنائية في التعليم وذلك بتوحيد التعليم المدني والديني في وعاء واحد.
- مراجعة التعليم الأجنبي في السودان والوقوف على ما يقدم وضبطه بضوابط البلاد.
- الاهتمام بالتعليم الفني وتطويره لإحداث النهضة الشاملة في السودان.
- التوسع في التعليم يجب أن يرتبط بالجودة.
- الاهتمام بالوسائط الإعلامية والاستقلال التربوي لها لأبعد الحدود.
- ضبط إيقاع الفن وتوجيهه توجهًا يخرجه من النظرة السالبة له.

الهَوامِشُ:

(١) أحمد محمد صادق الكاروري، **تاريخ التعليم الديني في السودان**، دار جامعة أم درمان الإسلامية للطباعة والنشر، ١٩٩٣، ص ١٧.

(٢) محمد عمر بشير، **تطور التعليم في السودان**، ١٩٨٣م، ترجمة هنري رياض وآخرون – دار الجيل – بيروت، ص ٦٥ – ٦٩.

(٣) محمد عمر بشير، المرجع نفسه، ص ٧٣.

(٤) المرجع السابق، ص ٨١ – ٨٢، ٨٩.

(٥) المرجع السابق، ص ٨٢.

(٦) حسن إبراهيم حسن، **تاريخ السودان الحديث**، ١٩٩٧م، ط٦، مؤسسة التربية للطباعة والنشر – الخرطوم، ص ١٠٢.

(٧) محمد عمر بشير، **تطور الحركة الوطنية (١٩٠٠ – ١٩٦٩)**، ١٩٧٠م، ترجمة هنري رياض وآخرون – الدار السودانية للكتب – الخرطوم، ص ٩٣.

(٨) المرجع نفسه، ص ٩٧.

(٩) المرجع السابق، ص ١٢٧، ٢٨٩ وما بعدها.

(١٠) عبد العظيم عثمان قمر الدين، **الفكر التربوي عند الإخوان المسلمين في السودان**، ٢٠٠٥م، مطابع العملة – الخرطوم، ص ١٠، ١١.

(١١) يوسف القرضاوي، **الإخوان المسلمين ٧٠ عامًا على الدعوة**، مطبعة وهبة، القاهرة ، ١٩٩٩، ص ٢٩.

(١٢) حسن الترابي، **الإيمان وأثره في حياة الإنسان**، ط٢، منشورات العصر الحديث، د. م، ١٩٨٤م، ص ١٨١.

(١٣) **الميثاق الإسلامي**، العدد ٢٧، ١٩٦٥/٤/٢١م، ص ٣.

(١٤) **الميثاق الإسلامي**، العدد ٢١، ١٩٦٥/٤/١م، ص ٦.

(١٥) محمد ناصر، **الفكر التربوي العربي الإسلامي**، ١٩٧٧م، وكالة المطبوعات الكويتية، الكويت، ص ٣٠٦.

(١٦) المرجع نفسه، ص ٢٠٣ – ٢٠٥.

(١٧) **الميثاق الإسلامي**، العدد ٨٩، ١٩٦٥/١٢/٢م، ندوة عن فلسفة إسلامية للمناهج أقامتها جماعة الفكر الإسلامي بجامعة الخرطوم، ١٩٦٥، ص ٣.

(١٨) عبد الله فضل المولى، **الميثاق الإسلامي**، العدد ٨٤٦، ١٩٦٨/٦/٨م، ص ٢.

(١٩) يوسف الخليفة أبوبكر، **الميثاق الإسلامي**، العدد ٨٩، ١٩٦٥/١٢/٢م، عرض ندوة إسلامية المناهج، قدمتها جماعة الفكر الإسلامي بجامعة الخرطوم، ص٣.

(٢٠) مالك بدري، **مشكل أخصائي علماء علم النفس المسلمين**، ترجمة منى كنتباي أبو قرجة، ط١، شركة الفارابي للأدوات المكتبية، الخرطوم، ١٩٨٩م، ص ٨٣ - ٨٤.

(٢١) **الميثاق الإسلامي**، العدد ٧٤٤، ١٩٦٨/٣/١٧م، مذكرة لوزراء التربية العرب قدمتها هيئة الإصلاح الكويتية، ونشرتها الميثاق، ص٣.

(٢٢) **الميثاق الإسلامي**، العدد ١٧، ١٩٦٥/٣/٣٠م، ص٣.

(٢٣) حلمي أحمد الوكيل وزميله، **أسس بناء المناهج وتطبيقاتها**، ٢٠٠٥م، دار المسيرة – عمان – الأردن، ص ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٨.

(٢٤) عبد الرحيم حمدي، **الميثاق الإسلامي**، العدد ٣٥٣، ١٩٦٦/١١/٢٠م، ص٤.

(٢٥) حسن الترابي، **الإيمان وأثره**، ص ٣٨.

(٢٦) المرجع نفسه، ص ٣٩-٤٠.

(٢٧) المرجع نفسه، ص ٢٥٩.

(٢٨) جاويش، **الميثاق الإسلامي**، العدد ٣٢، ١٩٦٥/٥/٩م، ص ١ – ٢.

(٢٩) حسن الترابي، **قضايا التجديد**، مرجع سابق، ص ١٢ – ١٣.

(٣٠) جاويش، **الميثاق الإسلامي**، عدد الجمعة الأسبوعي ٩٦٧، ١٩٦٨/١١/٣م، ص ٦.

(٣١) محمد ناصر، مرجع سابق، ص ٤٠.

(٣٢) زين العابدين الركابي، **الميثاق الإسلامي**، العدد ٣٥٤، ١٩٦٦/١٠/١٣م.

(٣٣) **الجبهة القومية الإسلامية**، مطبوعات، مرجع سابق، ص ٧.

(٣٤) زين العابدين الركابي، **الميثاق الإسلامي**، ١٩٦٥/١٢/٢٩م، ص٣.

(٣٥) **الجبهة الإسلامية**، البرنامج الانتخابي، مرجع سابق، ص ١٧.

(٣٦) محمد منير موسى، **أصول التربية**، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٢٢٩.

(٣٧) **الميثاق الإسلامي**، العدد ٥٨، ١٩٦٥/٨/٧م، ص ٦.

(٣٨) سراج الدين إبراهيم، **الإخوان المسلمون**، العدد ١٣٠، ١٩٥٨/٨/١٠م، ص ٢.

(٣٩) نقلاً عن: أحمد عرفات القاضي، مرجع سابق، ص ٤٢٦.

(٤٠) عمر محمد علي، **رؤية مستقبلية لدور المعلم في التعليم من أجل تحقيق التنمية المستقبلية في الوطن العربي**، دار طلاس للدراسات والترجمة، دمشق، ١٩٨٨م، ص ٤٥ – ٤٧.

(41) Rodman B. Wbb., *Schooling and society*, Cocuilla publishing, New York 1981. P. 179.

(٤٢) **الجبهة الإسلامية**، مطبوعات، مرجع سابق، ص ١٦.

(٤٣) محمد المصطفى، **الإخوان المسلمون**، العدد ١٠٨، ١٩٥٨/٥/١٢م، ص ٢.

(٤٤) التجاني سعيد، **الميثاق الإسلامي**، العدد ٦٩٦، ١٩٦٨/١/٨م، ص ٦.

(٤٥) **الميثاق الإسلامي**، العدد ١٠٢٠، ١٩٦٩/٢/٢٥م، ف ع أ، ص ٤ – ٦.

(٤٦) خضر هارون مدني، **الميثاق الإسلامي**، العدد ١٠٢٨، ١٩٦٩/٣/١١م، ص ٤ – ٦.

(*) يقصد بالعدو هنا: العدو الإسرائيلي.

(٤٧) زين العابدين الركابي، **الميثاق الإسلامي**، العدد ٥٥٨، ١٩٦٧/٧/٥م.

(٤٨) سهيلة محسن كاظم الفتلاوي، **المنهاج التعليمي والتوجيه الأيدلوجي**، ٢٠٠٦، دار الشروق للتوزيع – القاهرة.

(٤٩) جودة سعادة وزميله، **المنهج المدرسي المعاصر**، ٢٠٠٤م، دار الفكر – بيروت، ص ١٢٢ – ١٢٣.

(٥٠) **الميثاق الإسلامي**، العدد ١٠٠١ – ١٩٦٩/٢/٣م، ص ٤.

(51) Wilbur Schramaz. *The Impact of Education*. Pennsylvania University union Press 1970. P. 7

(٥٢) محمد الهادي عفيفي، **الأصول الثقافية للتربية**، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٧م، ص ١٨٩.

(٥٣) حسن مكي، **الحركة الإسلامية في السودان وخطابها السياسي، ١٩٦٩ – ١٩٨٥**، ١٩٩٩م، ط٢، الدار السودانية للكتب – الخرطوم، ص ٣٤٠.

(٥٤) **الجبهة الإسلامية**، مرجع سابق، ص ٦.

(٥٥) **الميثاق الإسلامي**، العدد ٣٨، ١٩٦٥/٥/٣٠م، ص ٢.

(٥٦) عبد الله فضل المولى، **الميثاق الإسلامي**، العدد ٨٤٦، ١٩٦٨/٦/٨م، ص ٢.

(٥٧) **الميثاق الإسلامي**، العدد ٩٨٠، ١٩٦٩/١/١٣م

(٥٨) عبد الرحيم محمد إبراهيم، **الميثاق الإسلامي**، العدد ٣٣، ١٩٦٥/٥/١٢م، ص ٢.

(٥٩) حسن الترابي، **الإيمان وأثره**، مرجع سابق، ص ٢٦٧ – ٢٦٩.

(٦٠) المرجع نفسه، ص ٢٧٠.

(٦١) حسن البنا، **مذكرة الدعوة والداعية**، مرجع سابق، ص ٢٥٧.

(62) Lamya Algarouqi: *Towards, Islamizationm of discipline International Islamic*, Institute Hemton Virginia, 1989. P. 476.

(٦٣) **الميثاق الإسلامي**، العدد ٨٠، ١٩٦٥/١٠/٤م، ص ٤.